قشرة الارض

من المُجمَع عليهِ اليوم ان الارض كانت اولاً سديماً مشتعلاً ثم صارت جُذوةً سائلة وبدورانها على محورها مع اختلاف سرعة اجزآئها اتخذت شكلاً هليلجياً الا انها بعد تبرُّد ظاهرها وجمود قشرتها تبدَّل شكلها بما تعاورها من فعل المآء على سطحها والنار في جوفها فتنأَّت جوانب منها وانخفضت اخرى حتى صارت بحيث لو اخذتَ قوساً من سطحها لم تكن قوساً من هليلجيٍ ولا من دائرة . وذلك انك لو قست اعلى قمةٍ من برّها كبعض جبال حملايا البالغة من الارتفاع ما يقرب من ٩٠٠٠ متر واعمق غورٍ من بحرها كبعض دَرَكِ الاتلنتيك البالغة مثل ذلك من العمق كانت المسافة بينهما نحواً من ١٨٠٠٠ متر وهي تكون نحو $\frac{١}{٣٦٠}$ من نصف قطر الارض . واذا اخذت معدَّل ارتفاع القارّات وانخفاض اغوار البحار لم يكن الفرق اقلّ من ٤٥٠٠ الى ٥٠٠٠ متر وهي نحو $\frac{١}{١٣٠٠}$ من نصف قطر الارض الا ان هذا المقدار لا يظهر منهُ فوق مُستوَى البحر الاّ نحو عُشرهِ والتسعة الاعشار الباقية مغمورة تحت المآء ولذلك لا يظهر هذا الاختلاف العظيم في سطحها لقرب سطح المآء من سطوح القارّات ولأن المآء غامرٌ لاكثر جهات الارض وبسبب تخلخل اجزآئهِ لا يزال طوعاً للقوّة الجاذبة الى المركز والقوّة الدافعة عنهُ فيكون سطحهُ ابداً قياسياً وبهِ تأخذ الارض شكلها الطبيعي

ثم انهُ فضلاً عما ذُكر من الاختلاف في ظاهر قشرة الارض فان

هناك اختلافاً في بنآء القشرة وثخانتها وذلك انك اذا تفقدت توزع البحر والبرّ على سطح الارض وجدت معظم المآء مجتمعاً في النصف الجنوبيّ منها ومعظم اليبس في النصف الشمالي مع كون مركز كلٍّ منهما مبايناً لمركز دوران الارض لان مركز اليبس يقع في جهة اوربا في منتصف المسافة بين خط الاستوآء والقطب الشمالي ومركز البحار يقع بالقرب من زيلندا الجديدة في الجهة الموافقة لوتد بريطانيا[1] على مثل المسافة المذكورة من خط الاستوآء والقطب الجنوبي . فلو كانت قشرة الارض متساويةً في الكثافة والغلظ لزم ان يكون القسم الناتئ منها وهو البرّ اسرع دوراناً من القسم الذي فيهِ البحار لان المآء لخفتهِ النوعية لا يوازن الاجزآء الناتئة من البرّ فترتب على ذلك ان يميل محور الارض شيئاً فشيئاً حتى يوافق مركزَي برّها وبحرها . الا ان ذلك لم يؤثر في توازن الارض ولا حركتها لانهُ وُجد بالاختبار ان القشرة التي تحت البحار اكثف من القشرة المكوَّن منها البرّ فوقع التوازن بين الجانبين بان هذه الزيادة في كثافة ما تحت البحر تكافئ ما ذُكر من نتوء القارات . وقد امتُحن ذلك اولاً بالغوص في غور البحر كما فعلهُ بحارة البارجة المسماة بالزُهَرة سنة ١٨٣٥ فانهم وجدوا ان الحرارة على عمق ٣٧٠٠ متر من قعر البحر لا تتجاوز درجتين فوق الصفر

---

(١) الوتد من اصطلاح اهل الهيئة يسمون البرج الواقع في سمت الرأس وسط السمآء والواقع في نظيرهِ وتد الارض وعندهم اوتاد اربعة وهي الطالع والغارب ووسط السمآء ووتد الارض قالهُ الخوارزمي في مفاتيح العلوم . وقد استخدمنا الوتد هنا للنقطتين المتقابلتين من سطح الارض بينهما ١٨٠ درجة كل واحدة منهما وتد الاخرى . تعريب Antipode

حالة كونها في مثل ذلك العمق من البرّ تبلغ ١٣٣ فاستُدلّ من ذلك على ان تبرُّد القشرة الارضية تحت المآء يكون اسرع وتكاثفها اشدّ مما يكون في قشرة البرّ . ثم امتُحنت كلتا القشرتين بالرقاص فروقبت حركتهُ في سهلٍ من سهول الهند ثم على سطح البحر فتبين ان قوّة الجذب على سطح البحر كانت اعظم مع استوآء البعد عن مركز الارض في الحالتين وهذه الزيادة في قوّة الجذب لا يمكن ان تكون ناشئة عن المآء لانهُ اقلّ كثافةً من الموادّ الجامدة المؤلفة منها قشرة الارض فثبت ان تحت المآء مادّةً اكثف واغلظ من مادّة البرّ

ثم من البديهي انهُ كلما غلظت القشرة تحت المآء ازداد ضغطها على ما تحتها من الموادّ السائلة ولما كان هذا الضغط يتوزع الى جميع الجهات لزم ان ينتهي الى القشرة الرقيقة المؤلفة منها القارّات فارتفعت ايضاً بالتدريج لضعف مقاومتها وهذا هو السبب في الحوادث البطيئة التي يرتفع بها بعض نواحي الارض وينخفض بعضها على ما سبق لنا الكلام فيهِ في احد اجزاء السنة الماضية وبما ذُكر يبقى التوازن متوفراً بين جهات البرّ والبحر وكذلك محور دوران الارض على نفسها لا ينتقل ولا يتغير اتجاههُ بالقياس الى سائر اجزآئها

ومن غريب ما يُلاحَظ هنا ان البرّ والبحر متقابلان على الغالب بحيث انك لا تكاد تجد برًّا متسعاً في ناحيةٍ من الارض الا وفي وتد ذلك البرّ بحر . وانظر الى القارّات الثلاث القديمة اعني قارة آسيا واوربا وافريقيا تجدها مجتمعةً في مكانٍ واحد ويقابلها من جهة وتدها المحيط الپاسيفيك

وكذلك قارة استراليا هناك يقابلها احد شطرَي الاتلنتيك بين اوربا واميركا الشمالية واميركا الشمالية يقع وتدها في البحر المتجمد الجنوبي مما يلي البحر الهندي. وفيما قررهُ الربان روس بعد رحلتهِ الى جهات القطب الجنوبي ان في ناحية القطب برًّا قاس ارتفاعهُ بما يبلغ ٣٠٠٠ الى ٤٠٠٠ متر ومن هنا حدس بعض علماء الطبقات الارضية انهُ لا بدَّ ان يكون القطب الشمالي واقعاً في بحر وقد تحقق ذلك آخراً بما قررهُ نَنسن في رحلتهِ الى الجهات المذكورة فذكر ان البحر حيث انتهى اليهِ من تلك الناحية لا يقل غورهُ عن ٣٠٠٠ الى ٤٠٠٠ متر ايضاً حال كونهِ عند سيبيريا الجديدة لا يزيد على ١٣٠ متراً

على ان الشكل الحالي للارض وما عليها من برٍّ وبحر قد لا يكون في شيء من الشكل الذي كانت عليهِ بعد تجمد قشرتها فقد توالت عليها الطوفانات في العصور الاولى بما قلب وجهها مراراً وبدَّل برَّها وبحرها وربما كان بين انقلابٍ وآخر آلافٌ من السنين فغاص بعض برها في البحر بعد ان صار آهلاً بانواع النبات والحيوان ولا يزال مثل ذلك يقع في ايامنا هذه من خسف اراضٍ ونتوء جزُر ومن جملة الانقلابات التي توصلوا الى معرفتها بفحص طبقات الارض ان بلاد اليونان التي هي اليوم شبه جزيرة كانت فيما سلف جزءًا من برّ فسيح ذي سهولٍ متسعة واراضٍ خصيبة مكسوّة بالغابات الكثيفة وهذا البرّ يمتدّ الى مسافة بعيدة حتى يتصل بالبرّ المصري مالئاً الموضع الذي فيهِ اليوم بحر كريت وجزُر الارخبيل. وذلك انهم عثروا في هذه الجزُر على بقايا حيواناتٍ هائلة من حيوانات العهد الاول

مما لا يمكن ان يعيش في مثل الاراضي الباقية هناك اليوم لان اكثرها جبالٌ جرداء فهي ولا بدَّ كانت راتعة في اراضٍ واسعة كثيرة الاشجار والادغال كبرّ افريقيا الذي لا تزال الى اليوم في مواضع منهُ حيواناتٌ من امثال تلك كالفيل والجاموس وغيرهما . وبمثل هذا استُدِلّ على ان فرنسا وانكلترا كانتا في الزمن القديم ارضاً واحدة وكذلك انكلترا وارلندا بل فيما تبين لهم ان اوربا واميركا كانتا متصلتين قديماً ولو ببرزخ يفصل بين الاتلنتيك والبحر المتجمد . وقد نقل افلاطون انهُ كان الى غربي اوربا بحيال مضيق جبل طارق ارضٌ هي مفقودة اليوم تسمى بالاتلنتيد (١) ثم خسفت بزلزالٍ عنيف فغاصت تحت البحر وقد تحقق هذا النبأ في الازمنة الاخيرة بالادلة الجيولوجية . على ان الحالة التي عليها الارض اليوم ليست قارّةً ولكن عوامل التغيير لا تزال دائبةً فيها مثل كل ما عليها فسبحان الدائم الصمد الذي لا ينالهُ تبدُّل الاحوال ولا يغيرهُ كرور الايام والليال

---

(١) حكى افلاطون انهُ لما كان صبياً سمع من جدّهِ كريتياس نقلا عن لسان صولون ان كاهناً مصرياً من كهنة سايس روى لهُ عن بعض كتبهم حادثاً تاريخياً ينتهي الى تسعة آلاف سنة قال انهُ في ذلك التاريخ كان تجاه عمودي هرقول جزيرة اعظم من ليبيا وآسيا معاً كانت تسمى الاتلنتيد وكان ملوك هذه الجزيرة مستولين على جميع افريقيا الى مصر وعلى جانب عظيم من اوربا ولما رأوا ما هم فيه من ضخامة الملك طمحت انفسهم الى الايغال في الفتوح ولكن اليونان الذين كانوا في مقدمة جميع الامم في الفنون السلمية والحربية صدّوهم ودحروهم و بعد ذلك بقليل حدث زلزال هائل ابتلع جزيرة الاتلنتيد في ليلةٍ واحدة فامتنع بعدها ركوب البحر المسمى باسمها اي البحر الاتلنتيك لكثرة ما خالطهُ من الطين بعد غرق الجزيرة

الفونغرافون

هو الاسم الذي وضعوهُ للآلة المخترعة حديثاً لرسم الصوت وحفظهِ. وهي غير الحاكي او الفونغراف ومخترعها رجلٌ دنمركي من كوبنهاغ يقال لهُ ولدمار بُلسان . وهذه الآلة معروضة اليوم في معرض باريز في قصر الكهربائية وهي بمنزلة تلغراف ناطق او تلفون كاتب بمعنى انها جمعت بين مزيتي التلغراف والتلفون . وقد عثرنا في احدى المجلات العلمية على وصف هذه الآلة فاحببنا نقلهُ الى القرآء قالت ما محصلهُ

لا يخفى ان التلفون مع غرابتهِ وحسن اختراعهِ لا يزال ينقص اشياء تتمّ منفعتهُ بها واهمها انهُ لا يقيّد الصوت ولا يحفظهُ ولكن كل ما فيهِ ان ينقل الكلام من موضع الى موضع وهذا القدر لا يُرضي اهل هذا العصر الذين امتدّت اطماعهم الى كل بعيد المنال مما لم يكن يخطر للمتقدمين في الحلم . وقد اشتغل كثيرون بسدّ هذا النقص فيهِ بان حاولوا الجمع بين آلتي التلفون والفونغراف وذلك بان يرسموا الاهتزازات الصوتية بواسطة منخسٍ من الياقوت الازرق على صفيحةٍ من الشمع او البارافين الا ان كل تجاربهم في هذا السبيل ذهبت سدًى حتى فُتح على المسيو ولدمار المشار اليهِ فتوصل الى المطلوب من طريقٍ آخر كما سنذكرهُ

وطريقتهُ في ذلك انهُ عمد الى التلفون المألوف فوصل احد طرفي سلكهِ الذي عند المركز القابل بمغنطيسٍ كهربائي صغير يدور امامهُ شريطٌ لولبيّ من الفولاذ (الصلب) او النِكل ملفوفٌ على إطار فكان اذا انتشر

المجرى الكهربائي في السلك بواسطة الاهتزازات الصوتية وتأثر بهِ المغنطيس المذكور يمغنط القِسم الذي يمرّ امام قطبيهِ من الشريط اللولبي فتُشحَن لفافة الفولاذ بقوّةٍ مغنطيسية تتكيف تبعاً لتكيف المغنطيس الكهربائي . وحينئذٍ فاذا ادير هذا الشريط امام قابلٍ تلفوني ردّ الى السلك ما فيهِ من القوّة التي تلقّاها من المغنطيس واعاد صدى الصوت مطابقاً للاهتزازات التي اثرت فيهِ فتُسمَع منهُ الاصوات التي لُقّنها بتمام لهجتها

وجملة ما يقال ان هذه الآلة مستودعٌ كهربائي يلفظ عند التفريغ القوّة التي اختُزنت فيهِ . وهي غير معرَّضةٍ للفساد ولا التعطيل وليس فيها رسم شيء ظاهر ولا يدخل عليها تكييف طبيعي او كيماوي . وقد ورد منها الى باريز عدة لفائف من الفولاذ هي الى الآن تعيد كل ما لُقّنتهُ في كوپنهاغ منذ اكثر من ستة اشهر مع اداء الصوت برنتهِ الطبيعية دون غُنّةٍ ولا ما يشبه اصوات الآلات المعدنية بخلاف ما يكون في الفونغراف المعتاد . وهي تقيم على ذلك زمناً طويلاً لا تُنزَع منها تلك الخاصيّة لان المغنطيسية لا تتبخر ولا تُقشَر الا اذا عرض لها من الخارج ما يمحوها عمداً

ثم انهُ اذا استُغني عن الكلام المُودَع في هذه الآلة يمكن ان يُمحى التأثير المغنطيسي منها بان تُسلَّ المغنطيسية من اللفافة بحيث تصير معدَّة لقبول اهتزازاتٍ اخرى وتعود كانها لم تُستعمَل من قبل ويكفي لذلك ان تدار اللفافة امام مغنطيسٍ قويّ يردّ اليها الموازنة بان يُبطِل المغنطيسية السابقة ويعيد المعدن الى كيانهِ الاصلي . واذا اريد ان يكون هناك كلامٌ طويل يمكن ان يوضع مكان الشريط اللولبي سيرٌ طويل من الفولاذ يحلّ

شيئاً فشيئاً على حد سيور الورق التي تستعمل في التلغراف

وبوجود هذه الآلة يمكن ان يكون الانسان في منزلهِ ويُنقَل اليهِ ما يجري في اماكن التمثيل او يقال في الجرائد ان احبّ حتى لا يضرُّهُ ان يكون غائباً عن منزلهِ لانهُ متى رجع استنطق الآلة فأعادت عليهِ كل ما لُقّنتهُ

تاريخ الخبز

نكتب هذا الفصل اجابةً لمقترَح بعض قرآء مجلتنا نذكر فيهِ ما تسنى لنا الوصول اليهِ من تاريخ الخبز في الدنيا وبيان زمن اختراعهِ وهو امرٌ قلّ من خطر لهُ البحث فيهِ لان الخبز لعموم استعمالهِ وسهولة صنعهِ لا يكاد يُتنبه الى ان فيهِ اختراعاً او أن التوصل اليهِ احتمل امتحاناتٍ وتجارب شتى ولم يتمّ الا بعد ان اتت عليهِ عصورٌ كثيرة شأن كل شيء من مخترعات البشر

والخبز ولا ريب قديمٌ جدًّا في المجتمع وهو قوام الغذآء عند اكثر الامم حتى انهُ كثيراً ما يعبَّر بهِ عن مطلق الطعام كما جآء في عبارة التوراة من قول الله لآدم بعرق وجهك تأكل خبزاً الا انهُ اتى على الناس ازمانٌ متطاولة وهم لا يعرفونهُ خلافاً لما يوهمهُ ظاهر الآية بل لا تزال الى يومنا هذا اممٌ برمتّها لا تعرف لهُ وجوداً كسودان افريقيا واهل اميركا الاولين وغيرهم بل ان اهل الصين على قِدَم حضارتهم وهم يبلغون نحو ثلث البشر لا يعرفون الخبز لان غالب طعامهم الارزّ ولكن جلّ ما يُروَى عنهم انهم يصنعون منهُ اقراصاً من الفطير او شيئاً يشبه الإطرِيَة وهي

طعامٌ كالخيوط من الدقيق يجففونهُ ويطبخونهُ

وكذلك اهل الهند لا يتخذون الخبز الا فطيراً لانهم لا يعرفون الخمير ولا يخفى ان اكتشاف الخمير هو كل الشأن في اختراع الخبز لان الوصول الى صنع الفطير ليس بالامر البعيد المنال اذ ليس فيهِ الا طحن الحبّ وعجنهُ . وقد تبين من مكتشفات الآثار ان الخبز ما برح يُستعمَل فطيراً الى آخر العصور التي سبقت زمن التاريخ فقد وُجد شيءٌ منهُ بين محنطات المصريين الاولين لا يزال محفوظاً بمادّتهِ وشكلهِ ووُجد في آثار بعض المدن التي كانت على شواطئ بحيرات سويسرا كِسرٌ منهُ قد تفحمت تحت مقذوفات البراكين فبقيت محفوظةً الى اليوم . وقد استُدِلّ من هذين النموذجين على ما كانت عليهِ صنعة الخبز في تلك العصور فانهم كانوا يتخذونهُ من جريش الحبّ المدقوق بالحجارة كما يدلّ عليهِ ما يخالطهُ من دُقاق الحصى قال بعضهم ولعلّ هذا هو العلة فيما يُرى في اضراس بعض الرمم والموميات من التثلم . وقد جآء في بعض كلام هوراس قُبيل التاريخ الميلادي انهُ كان يتأفف من كثرة الحصى في خبز كانوزا احدى مدن ايطاليا . اما شكل هذا الخبز فكانوا يصنعونهُ بهيئة اقراص ضخمة ثم يقلّبونهُ على الحجارة المحماة او يضعونهُ بين حجرين منها حتى ينضج

وكذلك اليونان كانوا يأكلون الفطير واستعمالهُ قديم العهد عندهم يجعلهُ مؤرخوهم من عهد سيريس الاهة الزرع وبان اله المواشي وقيل بل اخذوا صناعة الخبز عن الرومان في القرن الثاني قبل الميلاد وهو مستبعدٌ الا ان يكون المقصود بهِ الخبز المختمر . وكانوا يصنعون الخبز رُقاقاً عريضاً

لانهُ لخلوّهِ من الخمير لا ينتفخ عند الانضاج فكانوا يرققونهُ حتى يكون اتمّ نضجاً ولذلك كانوا يكسرونهُ كسراً ومن هنا التعبير الشائع بكسر الخبز

وعلى ذلك كان سائر امم المشرق من الفرس والليديين والعبرانيين وغيرهم والظاهر ان العبرانيين لم يعرفوا الخمير الا بعد دخولهم مصر لان اول مرةٍ ذُكر الخمير في تاريخهم في سفر الخروج (١٢ : ١٥) حيث يخاطبهم الله على لسان موسى بقولهِ في اليوم الاول تخلون منازلكم من الخمير . ومن هنا يظهر ان الخمير اول ما عُرف عند المصريين وعنهم اخذ العبرانيون صناعة الخبز وكان المصريون قد تفننوا فيها كثيراً كما يُستدَلّ عليهِ مما جآء في سفر التكوين (٤٠ : ١٧) في كلام خباز فرعون ليوسف من انهُ كان في احد السلال التي كانت على رأسهِ من جميع طعام فرعون من صنعة الخباز . ويؤخذ مما ورد في سفر اللاويين (٢ : ٤ و ٥ و ٧) شيءٌ من تفصيل صنعة الخبز التي قلد الاسرائيليون فيها المصريين كالخَبْز في التنور وهي اول مرّةٍ ذُكر فيها التنور في استعمال بني اسرائيل وكصنع الجرادق وات الخبز بالزيت والانضاج على الطاجن . والظاهر ان التنور من اختراع المصريين لانهُ اول ما ذُكر منسوباً اليهم كما جآء في سفر الخروج (٨ : ٣) من خطاب الله لفرعون على لسان موسى حيث هددهُ بالضفادع وانها تدخل حتى الى تنانيرهِ ومعاجنهِ وكان العبرانيون قبل ذلك ينضجون الخبز بملّهِ في الرماد كما يستفاد من قصة ابرهيم حين اضاف الثلاثة الرجال فقال لسارة هلمي بثلاثة اصواعٍ من دقيق سميذ فاعجنيها واصنعيها مليلاً

على انهُ الى يومنا هذا لا يزال اقوامٌ في بعض انحآء اسپانيا وايطاليا

يأكلون الخبز فطيراً وكذلك اناسٌ من اهل ارلندا والبشناق ومن فلاحي نروج وسكان وستفاليا من غربي المانيا وغيرهم . وآكلو الخبز بالاجمال لا يزالون قليلين في العالم ويقدَّرون بنحو ٥٠٠ مليون من الامم المتمدنة ويقال ان فرنسا مع انها من اكثر الممالك استغلالاً للحنطة واستهلاكاً للدقيق فان من اهاليها اليوم نحو ستة ملايين لا يعرفون الحنطة وطعامهم الجودار والبرّ الاسود والذُرَة والشاهبلُّوط(١)

عادات الامم في موتاها

لا ريب ان الموت من اغرب ما يمرّ على مشهد الانسان واغمضهِ سرًّا ولذلك ما زال في كل عصرٍ وبين كل طبقةٍ من الامم محلاً للحيرة والرهبة على حدّ كل امرٍ مجهول . وقد تشعبت فيهِ مذاهب الناس فمنهم من لم يرَ فيهِ الا انهُ سُنَّةٌ من سُنَن الطبيعة ان ينتهي كل مركَّبٍ الى الانحلال فالانسان في ذلك على حدّ البهيمة والنبات وسائر الاجسام الحيّة . ومنهم من رأى انهُ عرضٌ يعرض للجسم تتوقف بهِ حركاتهُ وافعالهُ الى حين ثم يعود الى الحياة وهو ما كان عليهِ المصريون الاولون ولذلك كان من وكدهم ان يستبقوا الجسم صحيحاً ولو في ظاهر شكلهِ حتى اذا وافتهُ النفس بعد مزايلتها

(١) الجودار صنف من البرّهش اللباب يكثر زرعهُ في شمالي اوربا ويتخذ غذآء للانسان والحيوان واللفظ ليس بعربي صحيح لان الظاهر ان العرب لم تكن تعرف هذا الصنف ولكننا كذا رأيناهُ معرباً في بعض كتب المتأخرين ولفظهُ الافرنجي seigle. والشاهبلوط هو المسمى في هذه الديار بابي فروة مركب مزجي من شاه و بلوط و يسمى في الديار الشامية بالكستنا وهي كلمة رومية

لهُ لا تنكر شيئاً من منظرهِ وكان متأهباً لحلولها فيهِ والعود الى ما كان عليهِ من الحياة . ومثل المصريين في ذلك الصينيون وهم على هذا المعتقد الى هذا اليوم حتى يقال انهم يحرصون اشدّ الحرص على ان لا ينقص شيءٌ من اعضآئهم ولذلك كان انكى العقوبة عندهم قطع الرأس . ولفرط عنايتهم بالحياة المستقبلة يُعدّ الواحد منهم تابوتهُ في حياتهِ ويستصحبهُ في سفرهِ وكثيراً ما يعدّ الولد تابوت ابيهِ ويجعلهُ هديةً لهُ

وكان اليونان يعتقدون ان الميت لا يصير الى مقام السعادة ما لم يُوارَ في التراب ولذلك كان من الفروض الدينية عندهم ان من رأى جثةً غير مدفونة يلقي عليها شيئاً من التراب . وروى لوشيانوس ان اول فرضٍ يجب عليهم للميت ان يضعوا في فيهِ قطعةً من السكة تسمى ذاتا كي (وهي قطعةٌ حقيرة تقدَّر اليوم بستة عشر سانتيماً) ليؤدّيها عند ركوبهِ سفينة كارون وهو الربّان الذي يجوز بالانفس الى العالم الاخروي . على انهُ كان عندهم مع عادة الدفن عادة احراق الجثث ثم كثرت هذه العادة حتى غلبت على الدفن ولذلك يقول لوشيانوس ان اليونان يحرقون اجساد موتاهم والفرس يدفنونها . وكانوا ينضدون الحطب ويضعون الجثة في اعلاهُ وفي اثنآء الحريق يصبون على النار زيتاً وطيباً ومتى همدت اطفأوا ما بقي من جمرها وصبوا عليها خمراً وتناول الاهل والاصدقآء عظام الميت فغسلوها بالخمر والزيت ووضعوها في آنيةٍ مخصوصة تكون احياناً من الذهب

ومن سُنَنهم انهم كانوا لا يدفنون من مات مجرماً بحكمٍ قضآئي ولكن يطرحون جثتهُ في مكانٍ مخصوص زيادةً في التنكيل . ومن مات منتحراً

قطعوا اليد التي انتحر بها ودفنوهُ في موضعٍ ودفنوا اليد في موضعٍ آخر ٠ ومن مات مصعوقاً عدُّوهُ مقدَّساً فلم يدفنوهُ مع سائر الناس ولكن يُدفَن في الموضع الذي صُعِق فيهِ

وكان الرومان في كثيرٍ من ذلك على طريقة اليونان فكانوا يضعون في فم الميت قطعةً من السكة ولكن لم يُعلَم الغرض منها ويضجعونهُ في دهليز منزلهِ ورجلاهُ الى جهة الباب ويغمرون فراشهُ بالورق والزهر وكانوا يدفنون موتاهم في الليل كما كان اليونان يدفنون وقت الفجر ٠ وكان لهم في الدفن احتفالٌ غريب يجرونهُ في جنازات الاكابر وارباب الخطط فاذا مشوا مع الجنازة تقدم اولاً اصحاب الموسيقى ثم تلتهم النوادب وتلا هؤلآء جماعة من الممثلين يشخّص احدهم الميت في حياتهِ ويحاكي حركاتهِ وكلامهُ ويمشي بعدهم العتقآء من عبيد الميت وتُحمَل امامهُ صور اسلافهِ وما كان لهُ من اكاليل او جوائز حربية ٠ والميت يُحمَل على نعشٍ من عاجٍ مغطًّى بالذهب والارجوان والنعش يُحمَل على اكتاف الاقارب الأدنَين او العتقآء ويمشي الاقارب ورآء الجنازة ورؤوس ابنآء الميت مغطاة ورؤوس بناته مكشوفة وشعورهنَّ منشورة

وسرت الى الرومان بعد ذلك عادة الاحراق من اليونان فكانوا يحرقون كل ميتٍ ما خلا المصعوق فانهم كانوا يدفنونهُ في مكانهِ اقتدآءً باليونان ويعدّون ذلك المكان مقدساً وما خلا الاطفال فانهم كانوا يعفونهم من الحريق ٠ وكانوا ينضدون الحطب على شكل هيكل مربع يجللونهُ بالسواد ثم يضعون عليهِ الميت مع نعشهِ ويدنو ادنى الناس قرابةً منهُ فيضع النار

في الحطب وهو محوّلٌ وجههُ ومتى ارتفعت النار كانوا يلقون عليها اطياباً وكؤوساً والواناً من الطعام وثياباً وجواهر وغير ذلك . واذا كان الميت امبراطوراً او قائداً كبيراً ذبحوا ذبائح وقد تكون من البشر وبعد خمود النار يأخذون العظام ويفعلون مثل ما ذكر في حديث اليونان

اما الامم الهمجية فيروى عنها ما هو اغرب من ذلك فان سكان جزائر فيجي وبعض قبائل سيبيريا الشرقية يشدون الشيوخ من ذوي قرباهم اسي يدفنونهم احياءً تخفيفاً عنهم من مشقة الحياة وعجز الكبَر . واهل الهند يقطعون عنهم الطعام حتى يموتوا جوعاً ثم يطرحون جثثهم في نهر الكنج . وبعض سكان جنوبي استراليا لا يدفنون موتاهم ولكن يوقدون ناراً عظيمة ويعلقون الميت فوق النار حتى يجفّ ثم يلفّونهُ في نسيجٍ صفيق ويجعلونهُ على شجرةٍ بين الاوراق . وروى الرحّالة مكدونالد عن بعض سكان كوينسلند وهو انكر ما رُوي في هذا الباب انهم يسلخون اجساد موتاهم ويأكلون لحمهم ويوزّعون عظامهم بين ذوي القُربى واما الجلد فيدبغونهُ ويحتفظون بهِ فيكون عندهم بمنزلة ذخيرةٍ ثمينة

الفتاة الحلبيّة

وردنا تحت هذا العنوان الموشح الآتي من نظم حضرة الشاعر العصريّ عيسى افندي المعلوف وقد عرّبهُ ببعض تصرُّفٍ عن قصيدة فرنسوية للشاعر الشهير دلامرتين نظمها سنة ١٨٣٢ يصف فتاةً حلبية كانت جالسةً بقرب بركة تدخن بالنارجيلة وهي مقلّدة بخنجر وقربها ابريق القهوة قال

رأيتكِ يا ابنة الشرق المنيرِ نشأتِ كزهرة الروض النضيرِ
فبلبلهُ يغرّد في سرورِ على اغصانهِ وعلى الزهورِ
وما مرتينُ باللَسِنِ الكبيرِ

لان الشرق مصدر كل علمِ وفيهِ يجيد ذو نثرٍ ونظمِ
فلا يحتاج كوكبهُ لنجمِ ولا ازهارهُ لبيس كِمِّ
لذلك ما سقطتِ على الخبيرِ

زها بكِ مآء بركتكِ الفسيحه فمثَّل حسنَ طلعتكِ المليحه
كمرآةٍ بها تُجلَى القريحه وما للشعر صفقتهُ الربيحه
اذا لم يُوحِهِ حسن الشعورِ

فذكركِ في مغاني الفضل رُدِّدْ ومدح جمالكِ الفتّان عُدِّدْ
بقربكِ قهوةٌ للضيف تُرفِدْ بمنصبها وترغي ثم تُزبِدْ
وأنتِ جليسةٌ فوق الحصيرِ

قبضتِ على عنان النارجيلهْ فهل في مآئها للنار حيلهْ
قد ازدانت بطلعتكِ الجميلهْ وزادت حسن حضرتكِ الجليلهْ
ففقتِ ملاحة الظبي الغريرِ

وكفٌّ ترشفُ التربيج ثغرا بنقشٍ زانها بطناً وظهرا
وفيها الياسمين افترَّ زهرا فينشقُ من شذا الازهار عطرا
وتطربكِ المياه بذا الخريرِ

ويرسل ثغركِ الضاحي دُخانا يقبّلُ وجنتيكِ وقد تدانى
تفاوَحَ طيبهُ آناً فآنا ورنَّحكِ السرور وما توانى
لذاكِ سكرتِ من خمر السرورِ

ولما أن ثبتِّ على المقام لديكِ تمثلت حالُ الهيام
فما احلى مطارحة الغرامِ يطير بها البخارُ على الدوام
فيشغل قلب كل فتىً طريرِ

كأنَّ بهاكِ في ذاكِ الغمامِ ووجهكِ فيهِ كالبدر التمام
جوادٌ في التفاتٍ وانتظامِ فيزبد من جرى ضغط اللجام
وقد أمسى بساعدكِ الصغيرِ

عليكِ النور اشرق من بعيدِ ينوّرُ صفح خنجركِ الحديدِ
فحوّل منظرَ النصل الحديدي لألماسٍ برونقهِ الفريدِ
ترصَّع فوق خصركِ في سيورِ

يعاصيني بكِ اللفظُ الرشيقُ ولا ينقادُ لي المعنى الدقيقُ
وليس يفيدني الشعر الرقيقُ ولو أني بأبحرهِ غريقُ
فانتِ مليكة الشعر الخطيرِ

فقدتُ حرارةَ الحبّ المُذَاعِ ولم يثبت لديَّ سوى شعاع
حبال شبيبتي ذات انقطاع فليس الى الغرام الآن داعي
لأن الشيب في رأسي نذيري

ولو أني بغيسان الشبابِ وعمرِ البدر يشرق في السحابِ
لكنتُ ملأت اوراق الكتابِ بوصف دخان ثغرٍ ذي رضابِ
يفوح كأنهُ نشر العبيرِ
أُمثّلُ بانتظامٍ وانتشارِ خيالَ جمالكِ السامي الفخارِ
وقد رسمَتهُ في صحف الجدار بنانُ الليل او كفُّ النهارِ
بنِقس دُجُنَّةٍ ويراع نورِ

مُتَفَرِّقَات

التلغراف بدون سلك — ما زال العلمآء يبحثون في امر هذا التلغراف للوصول بهِ الى حدٍّ يصلح بهِ للاستعمال في الاخبار والمراسلات لانهُ مع ما انتهى اليهِ من الكمال حتى صار يمكن ان تُرسل بهِ الاخبار على مسافة سبعين ميلاً فقد بقي فيهِ شيءٌ من النقص يذهب بمزيتهِ ويمنع من استعمالهِ وهو انهُ لا يمكن ضبط ما ينقلهُ من الاسرار عمن يحاول اختلاسهُ ولا سيما في اوقات الحرب التي هي اهمّ اوقات الحاجة اليهِ . وذلك ان الكهربائية فيهِ تذهب في امواجٍ منتشرة في الهوآء على حدّ امواج الصوت مثلاً فاذا اتفق وجود جهاز قابل في المسافة التي تنتشر فيها تلك الامواج امكن ان تُختلَس العلامات ويوقف منها على مفاد الرسالة . وقد ارتأى بعضهم لتدارك هذا الخلل انهُ عوض ان تُرسَل الاخبار في جهازٍ واحد يُستعمَل

لذلك جهازان يعملان معاً فاذا انطلقت امواج الكهربائية من كليهما اختلطت وتعارضت فلم يمكن ان يُتناول منها شيء يُفهَم ومتى انتهت الى المركز القابل ميزت الكلمات المقصودة من غيرها لسبق التواطؤ بين المركزين على طريقة الارسال الا ان هذا فضلاً عما فيهِ من الصعوبة والارتباك غير ضامن لانتفآء المحذور لامكان التوصل الى معرفة السرّ فيهِ

وقد خطر لبعضهم في هذه الايام ان يمتحن ارسال الكهربائية في المآء بين البرّ واحدى السفن او بين سفينة واخرى فكان عنهُ نفس ما كان عن التلغراف الهوائي وكانت الامواج منتشرةً ايضاً مثل انتشارها في الهوآء وهو ولا جرم امرٌ بديهي . وارتأى غيرهُ ان يمتحن ذلك في الارض بان تمرّ الامواج في باطن طبقاتها وقد وُضع هذا الرأي موضع البحث والتجربة والظاهر انهُ لا مانع من صحتهِ . على ان الطرائق الثلاث متشابهة ولعلهم يتوصلون بعد تكرار هذه الامتحانات الى ادراك ما ترمي اليهِ امانيُّهم وما ذلك على فِطَن اهل هذا العصر بعزيز

عدوى الامراض بالكتب — رُوقب في انكلترا انهُ حدث عدة اصابات بالحمى النفاطية والخُناق انتقلت عدواها الى المصابين عن الكتب المأخوذة من غُرَف المطالعة . وقد عُني احد مشاهير الاطبآء في بطرسبرج بالبحث عن وجود الجراثيم المرضية في الكتب التي كانت في المستشفيات او بين ايدي المرضى فوجد في كل سنتيمتر مربع من الورق ٤٣ جرثومة من انواع مختلفة غالبها من الانبوبيات التي لا تضرّ لكنهُ وجد بينها كثيراً

من الجراثيم المرضية كانبوبيات السلّ ٠ قال وبما ان هذه الجراثيم عالقة بالورق فمن المستبعَد ان تكون ملابستها سليمة لان قوتها على العدوى تبقى زمناً طويلاً ولذلك وجب التحذر من هذه الكتب وكان من الخطر الشديد تقليب صفحاتها مع ترطيب الاصبع باللعاب

قامة الانسان — بحث بعضهم في قامة الانسان في وقتنا الحاضر فاستقرى احصآءات المتجندين في ممالك اوربا ما خلا روسيا لان ذلك لم يقيَّد فيها فوجد ان قامة الانسان تتراجع وان عدداً كبيراً من الذين عُرضوا في الجندية أُرجئ قبولهم بسبب صغر قاماتهم ٠ وقد تبين لهُ من هذا الاستقرآء ان معدَّل المرجئين في جندية النمسا الهنكارية كان قبل عشر سنوات ٤‚١٩ في المئة فازدادوا في هذه المدة الى ٥٦‚٧٦ ٠ وفي المانيا مع التسامح في شروط الجندية بلغت زيادة المرجَئين من ٨‚٧ في المئة الى ٦‚١٦ ٠ وفي فرنسا ازداد عددهم في ست عشرة سنة من ٩‚٦ الى ٣‚١٣ ٠ وفي ايطاليا ازدادوا في مدة عشر سنوات من ٧‚٧ الى ٢‚٢٣ ٠ وفي البلجيك كانت الزيادة على مثل ذلك ولم يُستثنَ من الممالك كلها الا سويسرا فان معدَّل الارجآء فيها لم يزد عما كان عليهِ من قبل

قوة الشمّ في الذكور والاناث — ظهر من تعدد الامتحانات في هذه المسئلة ان قوة الشمّ تتفاوت بين الذكور والاناث تفاوتاً بيّناً ٠ وقد اختبر بعضهم ذلك بين ٤٤ رجلاً و ٣٨ امرأة كلهم في سن الشباب وعلى

تمام الصحة فوجد ان قوة الشمّ في الرجال اقوى وأتمّ بحيث ان ٧ منهم في المئة شعروا بوجود الحامض البروسياني في محلول يشتمل منهُ على نصف جزء من مليون وشعروا بهِ كلهم في محلول يشتمل على جزء من مئة الف حالة كون النسآء لم تدرك واحدةٌ منهنَّ وجودهُ في محلولٍ يشتمل منهُ على جزء من ٢٠ الفاً . ثم امتحن ذلك في خلاصة الليمون فلم تعرف واحدة من النسآء وجودهُ في محلول يتضمن منهُ اقل من جزء من مئة الف وشعر بهِ الرجال في محلول فيهِ جزءٌ من مئتين وخمسين الفاً . وكُرِّر هذا الامتحان في عدة موادّ اخر فكانت نتيجتهُ على مثل ما ذُكر بحيث امكن الجزم بان قوة الشمّ في الرجال تعدّل بضعفي قوتهِ في النسآء

على ان ذلك ناشئٌ في الاغلب عن كثرة ادمان النسآء لانواع الطيب ولا سيما القويّة منها فانها تؤدّي الى ضعف حاسة الشمّ كما أن ادمان الطعوم الحادّة يُضعِف حاسة الذوق وقد تقدم لنا الكلام على شيء من ذلك في الجزء الاول من هذه السنة

فوائد

ازالة رائحة البترول — وصف بعضهم لذلك ان يضاف الى البترول كلورور الكلس على نسبة ١٠٠ غرام من الكلورور لكل ٤ لترات ونصف من البترول مع قليل من الحامض الكلوردريك ويُهزّ الاناء هزّاً عنيفاً حتى يتوزع الكلور في جميع اجزآء السائل ثم يصفّى في انآء آخر فيهِ

كاسٌ جافٌ ويُهزّ ايضاً حتى يذهب الكاس بآثار الكلور وبعد ذلك يُترك الى ان يرسب فيكون البترول الرائق خالياً من كل رائحة

مسحوق لازالة الحبر — يؤخذ اربعة اجزآء متساوية من الشب والكهربآء الصفرآء والكبريت ونترات البوتاس وتُسحق معاً سحقاً ناعماً ويُحفَظ المسحوق في انآء من زجاج . فاذا اريد ازالة بقعةٍ من الحبر فان كانت طريئةً والا رُطبت بقليلٍ من المآء وذُرّ عليها شيءٌ من هذا المسحوق ثم فُركت بقطعةٍ من نسيجٍ ابيض فيذهب اثر الحبر

اسئلة واجوبتها

القاهرة — ارجو الجواب على السؤالين الآتيين

(١) رأيت في احدى المجلات « العلمية الصناعية » وصفاً لبنآء شاهق قيل في جملتهِ « كانهُ الاوج فوق مناطق البروج بكواكبها الوضآءة » فما المراد بالاوج في اصطلاح علمآء الهيئة وهل يصح موقعهُ في هذه العبارة

(٢) قرأت في كتاب دروس البلاغة لتلامذة المدارس التجهيزية (صفحة ٤٣) ما نصهُ « مراعاة النظير هي جمع امرٍ وما يناسبهُ لا بالتضادّ كقولهِ

اذا صدق الجدّ افترى العمُّ للفتى مكارم لا تخفى وان كذب الخالُ

فقد جمع بين الجدّ والعمّ والخال والمراد بالاول الحظ وبالثاني عامة الناس وبالثالث الظنّ » . انتهت عبارتهُ وقد ذكر اولاً ان مراعاة النظير هي جمع امرٍ وما يناسبهُ ثم مثل بالبيت وفسر الجد والعم والخال بالحظ وعامة الناس والظن فما المناسبة بين هذه الثلاثة واين مراعاة النظير هنا

عبده داود

الجواب — اما الاوج فالمراد بهِ النقطة التي يكون فيها احد السيّارات على ابعد مسافاتهِ من الارض وهو قول متقدمي الفلكيين لذهابهم الى ان السيارات كلها وفيها الشمس تدور حول الارض واما اليوم فالاوج مخصوص بالقمر اذ لا يدور حول الارض غيرهُ . وعلى كلا المذهبين فما جآء في كلام المجلة المذكورة من جعل الاوج فوق مناطق البروج من الخبط الذي لا خبط بعدهُ والظاهر ان الكاتب سمع لفظ الاوج والمناطق والبروج في مصطلحات هذا العلم فجمعها على هذه الصورة . على ان في قولهِ مناطق البروج غلطاً آخر لان للبروج منطقةً واحدة لا مناطق كما يعلمهُ من لهُ ادنى المامٍ بمبادئ هذا العلم

واما مسئلة مراعاة النظير والبيت الذي مُثّل عليها بهِ فالصحيح ان ما في البيت من ايهام مراعاة النظير لا من مراعاة النظير لان هذا النوع لا يتحقق الا مع وجود التناسب في المعنى وهو غير مقصودٍ هنا كما يُعلَم من تفسير الالفاظ بما ذُكر . قال في التلخيص « ويلحق بها اي بمراعاة النظير ان يُجمَع بين معنيين متناسبين بلفظين يكون لهما معنيان متناسبان

وان لم يكونا مقصودين ههنا نحو والشمس والقمر بحُسبان والنجم (اي النبات الذي لا ساق لهُ) والشجر يسجدان . فالنجم بهذا المعنى وان لم يكن مناسباً للشمس والقمر لكنهُ قد يكون بمعنى الكوكب وهو مناسبٌ لهما ولهذا يسمى ايهام التناسب » . انتهى بتصرفٍ يسير

آثار ادبيّة

الإِعراب عن قواعد لغة الأَعراب — أُهدي لنا الجزء الاول من كتابٍ بهذا العنوان تأليف حضرة الاديب المجتهد رشيد افندي عطية اللبناني احد اساتذة العربية في المدرسة البطركية والجزء المذكور يشتمل على قواعد الصرف في اسلوبٍ سهل قريب المأخذ وقد اردف كل فصلٍ منهُ بشرحٍ يوضح مبهماتهِ وتمرين للطالب فيما اشتمل عليهِ وختمهُ بتفسيرٍ لما ورد في امثلتهِ من اللفظ الغريب فجاء كتاباً كثير الفوائد جديراً بان يُعتمد عليهِ في تدريس قواعد هذا العلم

والكتاب مطبوع بنفقة حضرة الاديب خليل افندي الخوري صاحب المكتبة الجامعة في بيروت وهو يشتمل على ٢٢٠ صفحة جيّد الورق حسن الطبع وثمن النسخة منهُ خمسة غروش . فنثني على مؤلفهِ وطابعهِ الاديبين ونحث الطلبة وارباب المدارس على مقتناهُ

فكاهات

رواية

مادلين[1]

كان في احدى قرى فرنسا فتاةٌ تدعى مادلين من أُسرة متوسطة الحال ولم يُرزَق ابواها سواها فاهتما بتعليمها وتهذيبها وكانا يحبانها محبة شديدة ويحرصان جهدهما على راحتها وسرورها فلا يرفضان لها ملتمساً او يعارضانها في امر . فشبت على مهد الدلال والرفاهية دون ان يطرق اذنها يوماً كلمة توبيخ او وعيد بل كانت حيثما سارت لا تسمع الا الاطراء والمديح ولا سيما وان الطبيعة زينتها بابهى حلل الجمال وجعلت في عينيها نظراتٍ هي السحر الحلال فما رآها احدٌ الا أَخذ بشَرَك محاسنها وتقيد بسلاسل هواها . ولم تبلغ سن العشرين حتى اصبحت فتنةً للناظرين فاحاط بها شبان القرية احاطة الهالة بالقمر وكلهم يبتغي رضاها ويرتجي ودّها . اما هي فكانت طاهرة القلب ابية النفس أميل الى الجفوة من اللين فلم تبالِ باحدٍ منهم ولا تعدَّت توددّاتهم اذنيها اذ كانت تعتقد برفعة قدرها وسموّ مكانتها بين هؤلآء الذين كانوا يجلونها اجلال المعبود ويستسلمون لاحكامها كالارقآء . ولم تكن مع ذلك لتزجرهم او تقصيهم عنها بل كانت تتلذذ باستماع توسلاتهم وزفرات

(١) مترجمة عن الفرنسوية بقلم السيدة لبيبة هاشم

صدورهم وتبتهج لمرأى دموعهم تنسكب على قدميها كملكة عاتية مستبدة تسرّ باتلاف نفوس اسراها والتنكيل برعيتها

وحدث يوماً أن اتى تلك القرية واحدٌ من قواد الفرنسيس يقال لهُ الكنت دي كولان قصد السياحة فرأى مادلين مع اتراب لها في بعض المتنزَّهات وهي تزهو بينهنَّ كالقمر ومن حولهِ النجوم فراقهُ جمالها وشعر بجاذبٍ يدفعهُ الى محادثتها فاقترب الى الفتيات مستأذناً في السؤال عن وجهة تلك الطريق فأجبنهُ بالفاظٍ تمازجها الرقة والسذاجة وزدنَ على ذلك ان سمحنَ لهُ بمرافقتهنَّ اذ كنَّ سيمررنَ بالجهة التي يقصدها ولم يكن اشهى لديهِ من هذه المنحة فسار قريباً من مادلين وهو يردد عبارات الشكر بالفاظٍ صاغتها الرقة الباريزية وزانها الاحترام

فشعرت مادلين بانعطافٍ نحو الشابّ الغريب ولا سيما بعد ان عرَّفها باسمهِ ولقبهِ فكان للفظة كنت هزَّةٌ في فؤادها وتأثيرٌ في نفسها لم تقوَ كبرياؤها على مقاومتها فرفعت رأسها الجميل وقد تدلت منهُ غدائر شعرها كاغصان الصفصاف اذ يلاقيها النسيم وارسلت اليهِ من سهام عينيها نظرةً اخترقت فؤادهُ وذهبت بلبهِ . ثم قالت والدلال يرنح معطفيها هلا اقمت طويلاً في قريتنا يا سيدي . فاجابها وآيات السرور باديةٌ على محياهُ اني اعدّ نفسي سعيداً يا سيدتي اذا ساعدتني الاحوال على اطالة المكث في هذا الفردوس البهيج كما اني اشكر حسن الطالع الذي ساقني اليهِ فمتعني بسعادة هذه الدقائق القليلة التي لن انساها ما حييت . فشكرتهُ ثم دعتهُ لزيارتها اذ كانت قد انتهت حينئذٍ الى منزلها فوعدها بذلك في نُزهةٍ اخرى وودعها

وانصرف شاكراً

وباتت مادلين تلك الليلة والآمال تناجيها فتمثل لها انها ستصبح الكنتة دي كولان وتعيش في باريز عيشة السرف والفخفخة كباقي السيدات المثريات فتركب العربات الفاخرة وتتباهى بلبس الحلى والحلل بما يُظهِر جمالها ويجعلها قبلة الشبان وموضوع التفاتهم

ولقد اصابت فيما توهمت اذ لم يمضِ العام الا وكانت قرينة الكنت لكنها ما عتمت ان فُجعت بفقدهِ واصبحت ارملة وهي لم تتجاوز الثانية والعشرين فالتزمت جانب الوحدة مدة عام قياماً بفروض الحداد ثم عادت الى ما كانت عليهِ من سابق معيشتها وماضي انسها فتألب من حولها الشبان وتكاثرت لديها الدعوات والحفلات فكانت تؤانس الجميع على السوآء غير انها خصَّت بالميل فتىً يدعى الجنرال توماسي وتمكنت بينهما علائق الوداد فتعاهدا على الحب وعينا زفافهما بعد مضيّ شهرين من الزمن

***

وفي احد الايام دعت الكنتة خطيبها وواحداً من اصدقآئها يقال لهُ هنري وطبيبها الخاص لتناول العشآء في منزلها وكانت الكنتة في تلك الليلة طلقة المحيا باسمة الثغر وقد ارتدت ثوباً من الحرير اشبه بلون السمآء وابرزت منهُ كتفيها العاريتين تزينهما اطراف شعرها الفاحم وهو معقوص على رأسها بهيئة بديعة الصنع يتخلل ثنياتهِ ازهارٌ من الذهب الخالص مرصعة بالحجارة الكريمة تتلألأ تحت انعكاس الانوار كقطرات الندى فوق بساط الربيع فاضيف الى جمالها بهآءٌ يخجل البدر ويزري بازهار الرياض

وبينما كان الثلاثة حول المائدة وهم يتحادثون وجهّ المسيو هنري خطابهُ الى الكنتة فقال ان هذه آخر ليلةٍ يمثل فيها البطل فرنندو الطلياني ألعابهُ البديعة مع الاسود واني اعجب لعدم ذهابكِ اليها مع علمي برغبتكِ الشديدة في مشاهدة هذه الالعاب

فقالت اني لآسف جدًّا لكوني لم افكر في ذلك حتى الآن والاَّ لما تأخرت عن المصير الى هناك لاني ارتاح جدًّا الى مشاهدة هذه الالعاب الحماسية ويسرني بالاكثر ان ارى انياب تلك الحيوانات الضارية تمزق جسد الممثل يوماً فانهُ مشهدٌ طبيعيٌّ لذيذ

فانقبض وجه خطيبها عند سماع هذه الكلمات ونظر اليها شزراً وهو يقول وهل تُسَرّين يا سيدتي بعذاب البشر الى حدّ أن تتمني للممثل المسكين مثل هذه الميتة الشنيعة

فاجابتهُ باسمةً نحن نسآء القرى قاسيات القلوب لا نتأثر للمشاهد المحزنة غير اني لا اتمنى لهُ الضرر بل انما قصدت بقولي اني اودّ ان لا يفوتني مرأى مثل هذا الحادث اذا قُدّر فتمثل يوماً

فقال الطبيب مغيراً مجرى الحديث بالحقيقة ان المسيو فرنندو ممثل بارع وقد نال من الشهرة في باريز ما لم ينلهُ مصارع من قبلهِ

فقالت الكنتة وقد علمت انهُ يجيد كثيراً في ألعابهِ حين يراني حاضرةً فيُظهِر من اساليب الخفة والرشاقة والبسالة ما لا يفعلهُ في وقتٍ آخر .

فاجابها الطبيب لقد اصبتِ واني قد راقبت ذلك مراراً فثبتت لديَّ حقيقتهُ

فانطلق من صدر خطيبها تنهدٌ طويل وتململ في مكانهِ كمن لسعتهُ افعى ثم قال دون ان يصوّب اليها بصرهُ اذاً فهو مغرمٌ بكِ

قالت انهُ لم يقل لي ذلك

وحينئذٍ قطع الطبيب حديث الكنتة وقال وهو ينظر في ساعتهِ لقد بلغنا الساعة التاسعة والتمثيل يبتدئ بعد نصف ساعة فهلموا بنا اذا شاءَت حضرة الكنتة

فقالت الكنتة اني مستعدَّة لذلك فهل تكون انت مرافقاً لنا

قال اذا سمحتِ لي بذلك فاني اكون من الشاكرين

وكان خطيبها جالساً كالتمثال فالتفتت اليهِ وقالت وانت ايها العزيز ألا تصحبني ايضاً

فاجابها بفتور وقال لا

فنظرت اليهِ بدلالها المعهود وقالت وهي تكاد تسيل رقةً وحلاوةً اني استحلفك ايها الحبيب بالايام الباقية لاقتراننا ان لا ترفض طلبي فاني اريد ان ترافقني ونتقاسم لذة هذه الليلة ثم ناولتهُ يدها فتأبط ذراعها وسار الى جانبها خاضعاً

***

ولم يمضِ نصف ساعة حتى كانت الكنتة واصحابها الثلاثة في ردهة التمثيل وقد حدَّقت اليها الانظار وتطالَت نحوها الاعناق وقل من تنبه لرفع الستار حينئذٍ وظهور الاسود وهي تمشي متبخترةً في ساحةٍ مستديرة وسط الملعب يفصل بينها وبين الجلوس حاجزٌ خشبيٌ متين . ثم اقبل المصارعون

وكلهم بألبسةٍ فاخرة مزينة بالشريط ما بين احمر واخضر وفي يد كلٍّ منهم حرابٌ ملبسة بالانسجة الملونة للتحرش بالوحوش فجعلوا يدورون من حولها وكلما لاحت لهم فرصةٌ وخزوها بالحراب حتى اذا ثار غيظها توارى المبارزون ورآء الحاجز

وبعد حين ظهر البطل فرنندو فصفق الجمهور لهُ ابتهاجاً وترحيباً وكان فرنندو شاباً جميل الطلعة حسن البنية عليهِ سمات الشجاعة والبسالة يزيدهُ مهابةً ورُوآءً ما عليهِ من اللباس الثمين المزركش الذي كان يتلألأُ نوراً كلما تمايل في جوانب الملعب . وكان من تأمل فيهِ يرى في عينيهِ ابتسامةً لطيفة تشف عن رقة عواطفهِ ولين عريكتهِ واستسلامهِ لاحكام الجمال وسلطان ربات الحجال فاخذ يجيل بصرهُ بين الجموع كانهُ ينشد ضالةً لهُ ثم ما لبث ان لمعت عيناهُ وبرقت اسارير وجههِ اذ لمح الكنتة تجاه الملعب وهي جالسة تحدّق اليهِ . فحمل من ساعتهِ على احد الثيران حملةً صرعهُ فيها ثم اردفهُ بالآخر فدهش الحضور لشجاعتهِ وعلت من بينهم اصوات الاستحسان والتصفيق حتى اهتزت لها اركان الردهة وابتسمت الكنتة في سرها اذ علمت بكونها هي مصدر تلك العجائب كما انهُ لم يفتها ما اصاب الجنرال خطيبها من الانفعال اذ كانت حرارة انفاسهِ المتصاعدة تمر على وجهها وصوت تنهداتهِ يبلغ اذنيها وهي اشبه بفحيح الافاعي التي كانت تنفث في فؤادهِ سمّ الغيرة . فلكي تطرد عنهُ الاوهام وتنفي منهُ الوساوس مالت نحوهُ بحركةٍ تشف عن فرط هيامها بهِ واخذت يدهُ بين كفيها وضغطت عليها بوجدٍ كانها تقول لهُ اطمئنّ بالاً فاني لا اروم سواك خليلاً

ولا ارضى عنك بديلاً

. . . .

وهنا ارتفعت اصوات الجمع المحتشد وعلا بينهم الضوضآء وهبَّ كلٌّ من مكانهِ يطلب الباب واعول الصغار وأُغمي على اكثر السيدات وساد الخوف والجزع على قلوب الجميع . وقبل ان تنتبه الكنتة الى ما يجري انتصب الجنرال واقفاً ونزع يدهُ من يدها بحدّة وقبض على ذراعيها وادارها نحو القوم قائلاً انظري انظري ايتها السيدة فهوذا المنظر الذي تودّين رؤيتهُ . فالتفتت الكنتة واذا بفرنندو مطروحٌ على الارض وقد صبغت الدمآء ثيابهُ وفوقهُ اسدٌ ينهش صدرهُ وهو يحاول ان يدفعهُ عنهُ بما بقي فيهِ من القوّة ولكن ما لبث ان هجمت عليهِ بقية الوحوش هجمةً واحدة واحاطت بهِ من كل جانب قصد ان تشارك رفيقها في لذة الانتصار والانتقام فحُجب المسكين عن العيون ولم يكن يُرى سوى قطرات دمآئهِ تسيل بين ارجل تلك الحيوانات الناقمة عليهِ

وسبب تلك الحادثة ان فرنندو كانت قد اسكرتهُ لذة الظفر اولاً فاعاد الكرة على الاسود كالاول واخذ حربةً ووخز بها احد الاسود وكان اشدّها بأساً فدار الاسد دورتين وهو يزمجر بحنق فاعاد فرنندو الوخزة لكي يثير غضبهُ ويحملهُ على مبارزتهِ فلمعت عينا الاسد وارسل صوتاً مخيفاً ازعج الحضور ولكنهُ لم يتحرك من مكانهِ . فدار الممثل حولهُ ولطمهُ ثالثاً ورابعاً بقسوةٍ اثارت صواعق غيظهِ فجعل يزمجر كالرعود القاصفة وهجم عليهِ وهو يصيح ويزأر بما استكّت لهُ الآذان فابتعد عنهُ فرنندو مسافةً

ليتهيأ للنزال وكانهُ رام في تلك اللحظة وهو في اشد المواقف خطراً ان يسترق من الكنتة نظرةً يستمدّ بها قوّةً جديدة للكفاح فاتفق انها كانت حينئذٍ قابضة على يد خطيبها تنظر اليهِ بذلك الشغف والانعطاف واذ رأى منها ذلك ولم يكن لهُ سابق معرفةٍ بها ولا يعلم شيئاً من امرها وعلاقاتها مع الآخرين وربما كان يظنها خاليةً فسآء فألهُ وشعر بان يد الغيرة صدمتهُ صدمةً اصابت بمنهُ فؤاداً كان قد وقفهُ لعبادة تلك الفتانة فغاب رشدهُ وارتخت اوصالهُ فكانت تلك افضل فرصةٍ لغريمهِ الاسد الناقم فانشب فيهِ مخالبهُ دون شفقة ولا رحمة

واذ عاينت الكنتة ذلك صاحت بخطيبها متوسلةً اليهِ ان يسرع لنجدتهِ فتركها وسار دون ان ينبس ببنت شفة وخرجت هي مستندةً على ذراع طبيبها وقد اخذ منها الارتعاش كل مأخذ فاوصلها الطبيب الى العربة حيث جلست تنتظر رجوع الجنرال بالخبر اليقين . ولم يكن الا القليل حتى عاد وعلائم اليأس والاسف باديةٌ على وجههِ المكفهرّ فصاحت الكنتة اذ رأتهُ على تلك الحال اذن قد قُتل وقُضي الامر . فلم يجبها بكلمة بل تقدم بسكون وصافح يدها مودعاً فدعتهُ الى مرافقتها فلم يعرها اذناً صاغية بل اقفل باب العربة واشار الى السائق بالمسير ثم ابتعد دون ان يلتفت الى توسلاتها. وسقطت الكنتة بعد ذلك مغشياً عليها لما نالها من الانفعال في تلك الليلة فاوصلها الطبيب الى منزلها واعتنى بها الى ان سكن جأشها ثم انصرف بعد ان اشار عليها بلزوم الراحة والسكينة

واستيقظت الكنتة في اليوم الثاني عند الساعة العاشرة فاخذت تجيل

في ذاكرتها حوادث الليل الغابر ومقتل فرنندو ونفور حبيبها منها وتركهُ اياها على تلك الحال فاثر فيها ذلك تأثيراً شديداً لكنها عللت النفس بزيارتهِ قريباً ثم نهضت متثاقلةً وقرعت الجرس فحضرت الخادمة فسألتها الكنتة ألم يحضر الجنرال توماسي هذا الصباح

قالت لا يا سيدتي ولم يأت سوى المسيو هنري وهو ينتظر ان تستيقظي ليستفهم عن صحتكِ

قالت فلينتظرني في غرفة الاستقبال وساوافيهِ في الحال

قالت الا تريد سيدتي ان تطالع ما جآءها بهِ البريد اليوم

قالت لا بأس من مطالعة الرسائل واما الجرائد فابقيها الى وقتٍ آخر . فاعطتها ما طلبت ثم تركتها وخرجت

وكانت اول رسالة وقع نظر الكنتة عليها معنونة بخط خطيبها ففضتها للحال وقرأت فاذا فيها ما يأتي

« الى حضرة الكنتة دي كولان

« في ساعة اطلاعكِ على اسطري هذه اكون قد ابتعدت عن باريز بحيث لا يرى احدنا الآخر فيما بعد فانا وانتِ نعلم ان قاتل فرنندو لم يكن قط الاسد وان دمهُ سيبقى كحاجز حصين بيننا يحول دون اقتراننا فاستودعكِ الله وداعاً لا لقآء بعدهُ »

اندري توماسي